الخطابة باتضاع وذل . فقال الفونس لمرشده الذي كان يرافقه : لماذا يخجل هذا العامل من عمله فانني انا عامل مثله . ولا فرق بيني وبينه سوى انهُ يعمل في الحديد وانا اعمل بالاوراق والقرارات

والفونس فتى كريم الاخلاق هادئ لطيف كما ترى وهو نحيف الجسم محدوب الظهر قليلا كأنه ينوء تحت الحمل الثقيل الذي وُضع على عاتقه . والفضل في اعداده لوظيفته وحفظ ملكه لهُ راجع لامه الفاضلة التي قاست في السنوات الاخيرة من الحرب الاميريكية التي ضعضعت عرش اسبانيا والاضطرابات السياسية الداخلية ما جعلها في التاريخ مثالاً في الصبر وثبات الجأش وحسن الادارة لجميع النساء والامهات . على ان المستقبل لا يزال مظلماً في وجه ابنها لاختباط الاحزاب في بلادهِ . ولو قام الاندلسيون الذين قصصنا قصتهم في صدر باب المشاهير في هذا الجزء من قبورهم اليوم وشاهدوا حالة اسبانيا الحاضرة لرأوا ان الدهر قد انتقم لهم انتقاماً شديداً . ولتعزوا بكون الدهر يدور كالدولاب يوم للانسان ويوم عليه

وقد نشرنا رسمي الصبيين الكريمين في هذه النبذة بعد مباحث العلم والفلسفة والتاريخ لان منظرهما مما ينشر عليها شيئاً من بهاء الصبى وجماله ويشغل الذهن عن شؤون الحياة الحقيقية

مدارس زراعية بطرق جديدة

﴿ وادخال هذه الطريقة الى القطر المصري ﴾

افتراح

الزراعة حياة مصر : هذا قولٌ يردّده كل حاكم في مصر وكل مقيم فيها . وهو قولٌ صحيحٌ من الجهة المادية . ولذلك كان همُّ الحكومة مصروفاً الى ترقية شؤون الزراعة فيها . فنظمت الريّ اي توزيع ماء النيل على الزراع واقامت القناطر في مصر وازالت السدود من اعالي النيل وانشأت الخزانات العظيمة في اصوان واسيوط . وكل هذا في غاية النفع والفائدة للقطر اذ به حياته المادية كما قدّمنا . ولكنا مع ذلك نعتقد ان الحكومة لم تصنع بعدُ كل ما تستطيع صنعهُ لترقية زراعة القطر ترقية تعود بالفائدة العمومية على اهله

ونريد بذلك ان الحكومة لم تهتمّ حتى اليوم بما تهتم به كل حكومة بلادها زراعية . فهي قد قصرت عنايتها على اصلاح الارض والماء وتركت الزارع وشأنه . ومعلوم ان الزراعة عبارة عن اتفاق بين فريقين : الارض والزارع . فهو يعتني بها وهي تردّ له عنايته . فالذي يريد ترقية الزراعة في احدى الممالك يجب ان يهتمّ باصلاح الارض والزارع معًا . والاّ فانه اذا أصلح الارض فقط وترك الزارع وشأنه بلا تدريب ولا تعليم ادّى هذا الامر بحكم الضرورة الى مصيبة على البلاد وهي تنبيه نفوس الشركات واصحاب الاموال لاحتكار الارض لان الفرد الساذج الجاهل لا يستطيع حفظ ارضه بازائهم لجهله طريقة استثمارها وضعفه عن مجاراة مزاحميه . وبذلك يقع الشعب في المصيبة التي هي مصيبة كل الشعوب في هذا العصر : وهي استغراق املاك الشركات وارباب الاموال املاكه ومصيره الى خدمتهم بالاجرة اسوأ الى العبودية الحديثة التي تُدعى استئجارًا واستخدامًا

فاول واجبات الحكومات اذًا ان ترفع نفوس الشعب الى درجة يكونون عندها عارفين بالطرق الصناعية الزراعية التي يحاربهم بها اصحاب الاملاك والشركات ليتسنى لهم مزاحمتهم والجريان في تيارهم اي ان تعلمهم تعليماً زراعيًا ادبيًا يمنعهم من اضاعة ملكهم ويمكّنهم من استخراج اكثر ما يمكن استخراجه منه . ولذلك تألفت في اوربا جمعيات كبرى للزراع يرجع اليها كل فرد في شؤونه وحاجاته فتكون له بمثابة شركة كبرى تقاوم الشركات وتقوي الافراد عليها . هذا فضلاً عن التعليم الزراعي الالزامي في المدارس الابتدائية لجميع ابناء الامة استمالةً لاذواقهم واميالهم الى الزراعة واطلاعًا لهم منذ الصغر على اصولها . وفضلاً عن الجوائز التي تهبها الحكومة للزراع الذين يعجزون عن مجاراة زراع بلاد اخرى في صنف من الاصناف التي يزرعونها

فالفلاح في القطر المصري يحتاج اليوم اشد احتياج الى عناية الحكومة به افراديًا بعد عنايتها بارضه ومائه . والا اذا بقي كما هو اليوم يفلح ويزرع بالطرق التي كان يستعملها اسلافه في مصر في عهد الفراعنة (كما لاحظ ذلك غبريال شارم في سياحته) فان كل الفوائد التي تحصل في مصر من اتقان الريّ وبناء الخزانات واصلاح الاطيان تنصرف الى سواه . ومعلوم ان الفلاح في مصر هو الشعب كله

ولسنا نعني بذلك ان تنشئ الحكومة مدارس الزامية عمومية لتعميم تعليم اصول الزراعة ولا ان تقرض الفلاحين اموالاً طائلة يبتاعون بها الآلات الزراعية الحديثة وتعلمهم استعمالها . ولا ان تسعى الحكومة نفسها في ادخال اصناف جديدة من المزروعات والمغروسات

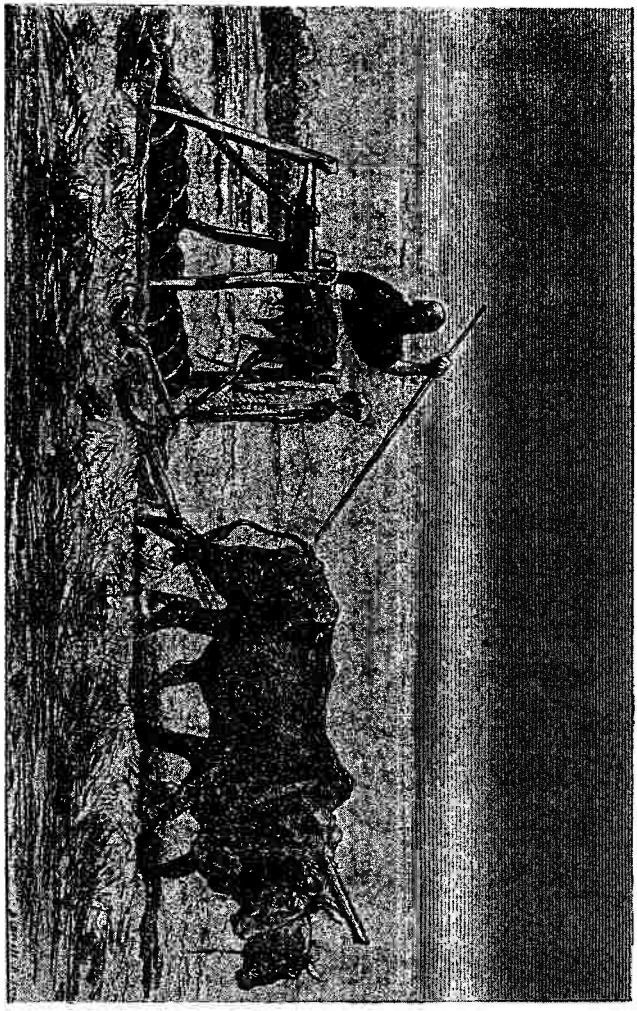

﴿ الفلاحة في مصر والسودان ﴾

بالطرق التي كانت منذ ايام الفراعنة

الى القطر لتنويع زراعته وحث زراعه على هذا التنويع الضروري بدلا من اقتصارهم على صنفي القطن والذرة بالاكثر وعلى شيء قليل من قصب السكر وبعض الحبوب لسد الحاجة. فان كل هذه امور صعبة بعضها فوق استطاعتها الآن لحاجتها الى المال وبعضها ليس من شؤونها . وهي تكتفي من كل ذلك بمدرستها الزراعية التي تقوم بوظيفتها « المحدودة »خير

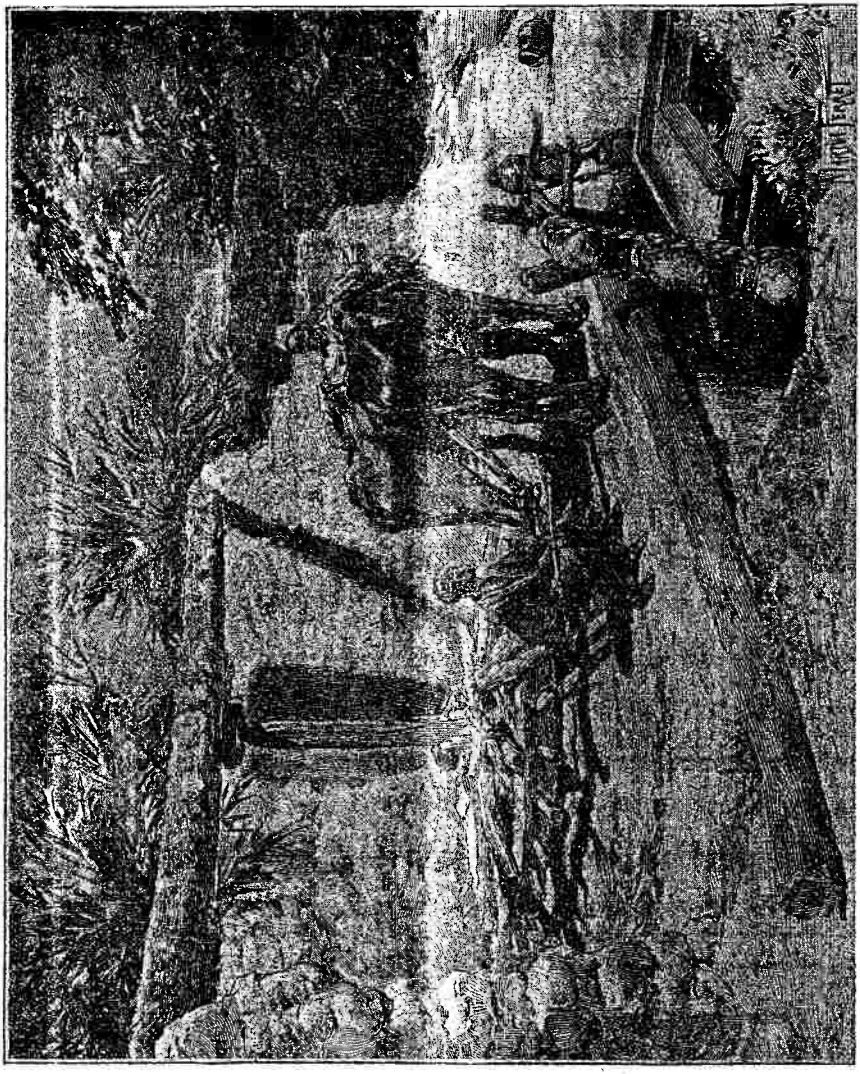

﴿ الساقية في مصر لاستخراج الماء ﴾

بحسب الطريقة القديمة

قيام . وانما نريد بما نقترحه هنا امرًا سهلاً لا تنفق الحكومة عليه شيئًا وهو مؤدٍّ الى شيء من الغرض الذي بسطناه آنفًا اي تعميم الاصول الزراعية العلمية بين جمهور الزراع في مصر لانهم الشعب وهم سواد الامة واساس مستقبلها

وهذا الامر السهل نأخذهُ من مملكة « ورتنبرج » احدى ممالك المانيا المتحدة . ومداره على انشاء « مزارع مدرسية » عمومية بطرق جديدة تفرَّدت بها هذه المملكة الصغيرة التي لا يزيد عدد سكانها عن مليوني ونصف نفس

وبيان ذلك ان هذه الدولة اقتطعت اطيانًا واسعة من اطيانها الزراعية واعلنت انها تؤجر منها كل من يريد الاستئجار وتنازل له عن ثلث اجرتها او نصفها ليعلّم لها في مقابلة ذلك ١٢ تلميذًا او فلاحًا في كل سنة اصول الزراعة علمًا وعملاً . فالراغب في ذلك يستأجر هذه الاطيان ويقبل عنده الاثني عشر رجلاً ويدرّبهم في زراعة هذه « المزرعة المدرسية » ويجب عليه ان يجعل الزراعة فيها تابعة لمعارف تلامذته ومنطبقة على جدول الدروس المدرسية في المدارس الزراعية . ومن واجباته في اثناء التجارب الزراعية مراقبة الدروس التي يكون هؤلاء التلامذة او الفلاحون قد تلقوها في المدرسة الاصلاحية اذا وجد فيها خطاء . وتلامذته يعملون في مزرعته بكل طاعة له دون ان يأخذوا اجرة لعملهم ولكنهم ينامون في المزرعة ويأكلون ويشربون على مائدتها . والحكومة تساعد مستأجر المزرعة فضلاً عن ذلك بان تعيّن له معلماً في الزراعة ومفتشًا وطبيبًا بيطريًا يترددون على هذه المزرعة لمراقبة احوالها دون ان يطلبوا اجرة منه . وقد قلنا ان عدد التلامذة او الفلاحين الذين تدخلهم الحكومة الى هذه المزرعة ١٢ رجلاً ولكن اذا ادخلت الحكومة اليها اكثر من هذا العدد فانها تدفع للمستأجر مكافأة مالية في مقابلة هذه الزيادة

فالتلميذ او الفلاح يقيم في هذه المزرعة المدرسية سنة او سنتين ثم يخرج منها عالمًا بجميع اصول الزراعة . فهو يتعلم فيها احوال التربة المختلفة والهواء وتركيب السماد واستعماله وزراعة النباتات والحبوب والاشجار المثمرة وصنع العلف وتربية الحيوانات الداجنة وطرق التجارة الزراعية ومعرفة تدبير شؤون المزرعة اجمالاً ومبادىء الحساب الضروية وكتابة الرسائل ومبادىء العلوم الطبيعية الاولى . وبعبارة واحدة نقول انه يخرج منها وهو رجل رشيد بصير ادبيًا وزراعيًا قادر على ادارة زمام نفسه وزمام ارضه فاذا القته الاقدار بعد ذلك على ارض صخرية فانه يجعلها بقوته ومعارفه وصبره اخصب تربة ويحوّل ارضها ذهبًا

ومما لا يحتاج الى بيان ان مدارس اوربا الزراعية المنتشرة في كل بلادها لا تخلو من

حدائق وحقول ملحقة بها لتعليم طلبتها الزراعة بالعمل وهم ياخذونها بالعلم . ولكن ليس في جميع اور با مدارس زراعية كهذه « المزارع المدرسية » التي مرَّ ذكرها والتي يمكن التصرف بها في بلاد كمصر مثلاً تصرفاً يلائم المكان

مثال ذلك ان تؤجر الحكومة باجرة قليلة اطياناً لها في كل مديرية لمن يريد جعل هذه الاطيان مزرعة (عزبة) مدرسية عمومية . وهذه المزارع المدرسية تكون مفتوحة الابواب دائماً لجميع زرَّاع القطر وفلاَّحيه كأنها معرض عمومي دائم يحق لكل زارع ان يدخل اليه في الوقت الذي يريده ليشاهد ما فيه من الطرق الزراعية . وكل من يريد من الفلاحين او الزرَّاع ان يتعلَّم اصول زراعة يستحسنها في هذه المزارع فلهُ ان يخدم في احداها اسبوعاً او شهراً ليتعلَّمها . وفضلاً عن ذلك فان كل واحدة من هذه المزارع تعلِّم التلامذة الذين تقدمهم اليها الحكومة على طريقة مزارع ويرتنبرج . وبدلاً من الموالد والحفلات التي تُقام دائماً في الارياف لغير فائدة تقام في هذه المزارع في كل شهر حفلات للفلاحين والزراع يحق ان تسمى « موالد زراعية » او « معارض شهرية » ـ والفكرة الكبرى التي يجب ان تدير هذه الاعمال كلها وتكفل نجاحها تنبيه نفوس الشعب الراقدة الى ان الطرق القديمة لم تعد تجدي نفعاً وان الشركات وارباب الاموال سيقوون عليهم لا محالة ويخرجون خيرات ارضهم من ايديهم اذا كانوا لا يقتصدون ويتحدون ويؤلفون لهم جمعية تزودعن مصالحهم وتعمم الطرق الزراعية العلمية في اطيانهم وتربي اولادهم تربية اقتصاديه وتكون واسطة بين الهيئة الحاكمة وبينهم

ولا ريب ان الحكومة اذا التفتت هذا الالتفات الى فلاَّحي مصر بعد افراغها جهدها في اصلاح ارضهم ومائهم فانها لا تخدمهم فقط خدمة زراعية تحفظ بها للشعب اطيانه التي هي عماد مستقبله وقوام حياته بل هي تخدمه خدمة ادبية في غاية الاهمية . لان ارتقاء معارف الشعب من الجهة الزراعية لا يمكن ان يتم بدون ارتقائه ادبياً . وتلك في رأينا اول خطوة نحو التعليم الزراعي والادبي الالزامي الذي نعتقد ان حكومة مصر الكريمة ستجود به على الشعب في المستقبل . وبذلك تكون اول حكومة في الشرق نهضت بشعبها نهوضاً حقيقياً . اذ لا نهضة حقيقية بدونه